اللسان العربي يحكي قصة نشأة الانسان و اللسان.

الدكتور جعفر دك الباب

أولا ــ خصائص بنية العربية تدل على أصالة اللسان العربي .

1 . 0 . حين نصف لسانا ما بالأصالة نقصد أنه يتوافر فيه عنصران هما : الايغال في القدم من ناحية ، والاستمرار في الحياة من ناحية أخرى . وعليه فإن بنية اللسان الأصيل بهذا المعنى يجب أن تتمتع بجملة خصائص من حيث المفردات والأصوات والصرف والنحو تشير إلى إيغاله في القدم . ***وأول قرينة على إيغال لسان ما في القدم هي وجود شبه بين ألفاظه وأصوات الحيوان والطبيعة*** ، لأن هذا الشبه يدل على محاكاة الانسان القديم لأصوات الحيوان والطبيعة . ويؤكد بالتالي بدائية نشأة ذلك اللسان .

1 . 1 . ومن خلال استعراضنا ***لخصائص النظام اللغوي للعربية*** توصلنا إلى النتائج التالية :

(1) ــإن الخاصة المميزة للبنية الصوتية العربية (التي تتجلى في المبدأ التالي : لاوجود بشكل منفصل للصوت الصائت ــ القصير أو غير القصير أي الحركات والمدات ــ عن صوت صامت يلفظ قبله ويتصل به) تعكس طور محاكاة الانسان القديم لأصوات الحيوان والطبيعة [1] ، وتؤكد بالتالي بدائية نشأة اللسان العربي .

(2) ــانعكست الخاصة المميزة للبنية الصوتية للعربية في الكتابة العربية وتجلت في أنها ليست مقطعية كما أنها ليست أبجدية تماما[2] .

(3) ــانعكست الخاصة المميزة للبنية الصوتية للعربية في طريقة تحديد أصل الكلمات في العربية . وظهر ذلك في تمتع البنية الصوتية لمعجم مفردات العربية بخاصة مميزةتجلت في أن أصل المفردات في المعجم العربي يتحدد على أساس الأصوات الصوامت التي يشتمل عليها فقط[3] . وبدا يطرح المعجم العربي سؤالا حول وجود علاقة مناسبة طبيعية بين الصوت والمدلول نتيجة لمحاكاة أصوات الحيوان والطبيعة .

ونستنتج من ذلك كله أن اللسان العربي لسان أصيل بدائي النشأة .

(*) قدم هذا البحث في المحاضرة التي ألقاها المؤلف في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق يوم 05 أيلول (سبتمبر) 1988 وعنوانها : *نحو نظرة جديدة إلى فقه اللغة (اللغة العربية أصل قائم بذاته)* .

1 . 2 . كتب ***الأستاذ زكي الأرسوزي*** عن منشأ اللسان العربي مايلي :

«اللسان العربي اشتقاقي البنيان ، ترجع كافة كلماته إلى صور صوتية ـــ مرئية مقتبسة مباشرة عن الطبيعة .

ا ـــعن الطبيعة الخارجية تقليدا للأصوات الحاصلة فيها مثال ذلك :

(قرّ) (فقّ) (خرّ) (زمّ) .

ب ـــأو عن الطبيعة الانسانية بيانا لمشاعرها ، مثال ذلك :

(أنّ) (أهّ)»[4]

«وأما اللغة العربية فهي ذات طابع بدائي ترجع كلماتها جميعا إلى أصوات الطبيعة ... وفضلا عن أن اللسان العربي بدائي النشأة ، فإن كلمات هذا اللسان يبدأ تكوينها عفويا من انبثاق المعنى دون طائلة العقل . هذه الحقيقة تدل عليها أمور مختلفة ، منها أن أصوات الهيجان الطبيعية التي كانت مصدر اشتقاق لمعظم كلماتنا تشير إلى العلاقة بين اللغة الطبيعية واللغة المصطلح عليها كرموز عند الجماعة ، ونحن نستخلص من ذلك أن معاني الكلمات العربية تمثل تجربة الحياة تمثيلا مستقلا عن اجتهاد المجتهدين . فما للذهن إلا أن يستحضرها حتى ينبعث من النفس المعنى الذي أنشأها»[5] .

وعن خصائص اللغة العربية كتب الأستاذ زكي الأرسوزي : «إنه لمن الثابت بحكم التاريخ أن اللغات الافرنسية والايطالية والاسبانية قد حصلت من تحول اللغة اللاتينية ، وكان ذلك بتأثير عوامل سياسية اجتماعية . وإنه لمن الثابت بحكم التاريخ أيضا أن اللغة الافرنسية هي لهجة منطقة باريس ، المنطقة التي طبعت مقاطعات فرنسا الأخرى بطابعها السياسي والثقافي فجعلت لهجاتها تتراجع أمامها فتندثر .

وإنه على هذه الدراسة قد قام الزعم بأن العلاقة بين اللسان العربي واللغات السامية الأخرى علاقة أخوة ترجع بأصولها إلى للغة الأم التي هي لغة سامية بائدة ، وإن ثمة لهجات عربية تقلصت أمام طغيان لهجة قريش ، لهجة الديانة والسياسة ...

إن الكلمات العربية ذات أصول في الطبيعة ، وإن مبدأ الصحة فيها قد تعين من قبل الفطرة لا من قبل العرف والعادة . ثمة خطأ شائع بين اللغويين وهو أن العلاقة بين المعنى واللفظة في اللسان العربي على مثال العلاقة بينهما في اللغات الحديثة ـــ علاقة اصطلاحية . بمعنى أن اللفظة تشير إلى معناها إشارة فقط . بيد أن اللسان العربي ذو بنيان عضوي تنم فيه الكلمة عن المعنى وتوحي به إيحاء حتى أن اتجاه المعنى هو اتجاه المتغلب على اللفظة مما يجعل صاحبه أكثر استعدادا من غيره لفهم الأخلاق والديانة . إنما هو منظومة صوتية تعبر عن وجهة الأمة التي أنشأته ودلت عليه[6] .

1 . 3 . أوجد ***الأستاذ عبد الحق فاضل*** في كتابه «مغامرات لغوية (ملكة اللغات)»[7] فرعا جديدا في علم اللسان سماه (الترسيس) ويميز الأستاذ فاضل دراسة أصول الكلمات أو التأثيل Etymology عن الترسيس . فالترسيس هو إعادة اللفظة إلى جدتها الأولى في صورتها التي نطق بها الانسان الأول (البدائي) تقليدا لأحد الأصوات المسموعة مثل محاكاة أصوات الطبيعة أو الحيوانات ، مع تعقب المراحل التطورية التي قطعتها تلك اللفظة حتى وصلت إلى الصورة التي نعرفها في إحدى اللغات أما التأثيل (أي دراسة أصول الكلمات) فهو رد الكلمة إلى أمها المباشرة أو جدتها المباشرة أو القريبة .

وكان الأستاذ فاضل قد ذكر أمثلة عن الترسيس في مقالته بعنوان : «آثار حيوانية في اللغة العربية[8]» .

يرى الأستاذ فاضل «أن اللغة العربية مازالت تحتفظ بالألفاظ البدائية ـــ الرسية ـــ الأولى إلى جانب الألفاظ الراقية الحضارية المتفرعة منها . فهي لذلك تمكننا من إقامة علم (نشأة اللغة) على أركان وطيدة بالطريقة الترسيسية . وهي وحدها تمدنا بمادة (علم الترسيس) . بينما جميع بناتها الساميات والحاميات والآريات وغيرها من لغات بني آدم لا تكفي إلا للتأثيل[9]» .

كما يرى الأستاذ فاضل أنه «لما كان الترسيس هو الأساس الذي سيقوم عليه علم (نشأة اللغة) وما يتصل به من علوم اللغة ، وبما أن الترسيس سيهدم كذلك بعض النظريات اللغوية وتطوراتها وتفرعاتها وهجراتها ستكون الأساس المكين لعلم (فقه اللغة) العالمي العام الذي سيعاد النظر فيه بجملته ومختلف فروعه ويعاد تخطيطه وتشييد صرحه على تصميم جديد من قوانين اللغة العربية وإنحاءاتها . وسيتضح كم سيرتقي (علم اللغة) ويصحح الكثير من أخطائه ويقضي على الكثير من تلكئه هنا وتردده هناك . وبأي سرعة ، حالما يأخذون بسلوك الطريق الاستقرائي العلمي الصحيح في دراسته ابتداء من اللغة العربية[10]» .

وكتب الأستاذ عبد الحق فاضل مقالة بعنوان : «حول (المغامرات اللغوية)»[11]، جاء فيها «المعروف أن اللغات البدائية هي التي يقرب الشبه بين ألفاظها والأصوات الطبيعية التي نشأت منها . أما اللغات الراقية فقد ذهبت أصواتها وبقيت الكلمات الحضارية الراقية التي تولدت منها ، لا سيما وأن الأمم المتحضرة قد تنقلت منذ أقدم العصور من مكان إلى مكان واختلطت لغاتها بغيرها . ولكن العربية وحدها تقدم لنا أرقى الكمات الحضارية والثقافية مع الحلقات المتسلسلة التي تقودنا إلى البدايات الأولى . وسبب ذلك هو الظروف الفريدة التي تلابس الجزيرة العربية ، فقد بقي وسطها الرملي المجدب محافظا على حياة البداوة والبدائية على حين راحت أطرافها المتحضرة تصنع من تلك الخامة اللغوية مفردات حضارية باذخة ، وإذ بهذه العربية تغذو لغة الراعي والفيلسوف في وقت واحد» .

وأشار الأستاذ فاضل في تلك المقالة إلى أن العلماء قرروا أن اللغة البشرية تكونت من أصول خمسة بوجه العموم نجدها كلها صريحة واضحة في العربية ، على حين أن أية لغة حية أخرى لا توجد فيها إلا بعض هذه الأصول إن وجدت . والواقع أنهم إنما توصلوا إلى هذه الأصول الخمسة من استقراء عدد غير قليل من اللغات البدائية التي لا تزال تحتفظ بجذورها الصوتية لعدم ارتقائها وابتعادها عن صورة ولادتها . وهذه الأصول الخمسة هي :

1 - محاكاة أصوات الطبيعة : وكمثل نذكر صوت الماء (شلشل) ومنه ترشرش الماء ، ثم رش ورشاش ، ثم رذ ورذاذ ، ثم رذر وذرى ومذارة وذرة ...

2 - تقليد أصوات الحيوانات : ونذكر من الأسماء التي سميت بأصواتها : البلبل واللقلق والجدجد والصرصر .

3 - تقليد الأصوات المصطنعة : أي الأصوات التي يحدثها الانسان في بعض أعماله ، مثل صوت القطع (قط) و (وضج) و (طق) .

4 - تقليد الانسان لنفسه : في الأصوات الطبيعية التي تصدر عنه تلقائيا في مختلف حالاته ، مثل (قهقه) و (قاء) و (أنّ) و (عطس) .

5 - تقليد أصوات الطفل : (لغ لغ)و (بابا) و (تاتا) و (دادا) . إننا نرى أن الأستاذ عبد الحق فاضل بنى نظريته القائلة بأن اللغة العربية (ملكة اللغات) بعد دراسة صوتية مقارنة للفظ كلمات مفردة في عديد من اللغات بالطريقة

الترسيسية . وقد سمى كتابه (مغامرات لغوية) لأن النظرية التي يقترحها تحتاج من أجل تدعيمها إلى الكشف عن حقائق في اللغة العربية نفسها تؤكد أنها اللغة الانسانية الأولى ، وتبين نشأتها ومراحل اكتمال نظامها اللغوي . دفعتنا آراء الأستاذ عبد الحق فاضل (الجريئة) – ولا نقول (المغامرة) – إلى طرح السؤال التالي : ***هل ترتبط بدائية نشأة اللسان العربي ببداية تشكل الكلام الانساني؟*** للاجابة عن هذا السؤال لابد من ***دراسة نشأة الألسن دراسة موضوعية ، انطلاقا من دراسة الأصوات اللغوية وباعتماد منهج تاريخي علمي .***

ثانيا : السامية والساميون – العرب والعربية .

2 . 0 . صنف العلماء بنتيجة الدراسات المقارنة التاريخية اللغات حسب منشئها إلى أسر لغوية معروفة ، ثم قسموا الأسر إلى مجموعات وفصائل وشعب ، ولكن ما يلفت الانتباه أنه تم تمييز أسرة سميت «اللغات السامية» وأسرة أخرى سميت «اللغات الحامية» ويدمج بعض العلماء الأسرتين في أسرة واحدة يسمونها «اللغات السامية – الحامية» . وقد استخدمت تسمية «السامية» و «الحامية» استنادا إلى شجرة أنساب الأمم الواردة في التوراة والتي ترجع أنساب البشر إلى أبناء نوح الثلاثة : سام وحام ويافث / سفر التكوين ، الاصحاح العاشر / . واعتبرت اللغة العربية فرعا من أسرة اللغات السامية . وكان العالم الألماني شلوتسر أول من استخدم تسمية «السامية» في بحث له عن الأمم القديمة عام 1781 . وقال أن معظم الشعوب والأمم التي تكلمت وتتكلم هذه اللغات هي من أولاد سام بن نوح .

وتجدر الاشارة إلى أن العماء الذين صنفوا اللغات في أسر بحسب قرابتها لم يستطيعوا أن يثبتوا تاريخيا وجود اللغة الأصل أو الأم لكل أسرة ، كما أنهم لم يتمكنوا من إثبات وجود الشعب الذي تكلم بها ، بل اكتفوا بافتراض وجود اللغة الأصل ووصف صفاتها العامة المستنبطة من التشابه بين اللغات التي تدخل في كل أسرة لغوية .
فمن خلال تحديد التشابه بين اللغات التي صنفت ضمن أسرة اللغات الهندية الأوربية مثلا ، افترض وجود لغة هندية أوربية أصل أو أم لجميع تلك اللغات . وكذا الحال بالنسبة للغات التي تدخل في الأسرة السامية – الحامية أو في بقية الأسر اللغوية .

يذكر الدكتور فيليب حتي أن «لفظة سامي مأخوذة من سام الوارد ذكره في التوراة . ولقد دخلت إلى اللغات الأوربية عن طريق الترجمة اللاتينية المتداولة للتوراة . إن التفسير التقليدي المألوف الذي يذهب إلى أن الساميين قد تحدروا من كبير أبناء نوح لا تؤيده الأبحاث العلمية الحديثة . فمن هم الساميون إذن؟»(12) .

ويبين الدكتور حتي معنى لفظة / سامي / في الغرب بقوله : «ولقد أصبحت لفظة / سامي / في أوربا وأمريكا ذات مدلول يهودي قبل كل شيء ولعل مصدر ذلك هو كثرة انتشار اليهود في هاتين القارتين» .(13)
وحول موطن الجنس السامي – الحامي يقول الدكتور حتي : «وهذا يجعل إفريقية الموطن المرجح للجنس السامي الحامي والجزيرة العربية المهد للشعب السامي والمركز الذي تفرعوا منه ، أما الهلال الخصيب فهو مرتع الحضارة السامية»(14) .

أما الدكتور جواد علي فيشير إلى أن السامية ليست عرقا ويقول : «السامية ليست رسا بالمعنى المفهوم من الرس عند علماء الأحياء ، أي جنس له

خصائص جسمية وملامح خاصة تميزه عن الأجناس البشرية الأخرى . فبين الساميين تمايز وتباين في الملامح وفي العلامات الفارقة يجعل إطلاق / الرس / عليهم بالمعنى العلمي الحديث المفهوم من / علم الأجناس / ، أو الفروع العلمية الأخرى نوعا من الاسراف واللغو ، كما أننا نرى تباينا في داخل الشعب الواحد من هذه الشعوب السامية في الملامح والمظاهر الجسمية(15)» .

ظلت الآراء مضطربة ومختلفة حول الأصل المشترك للغات السامية ، ولم يعرف العلم الكلمة الأخيرة في ذلك . فبينما تعتبر اللغة العربية آخر لغة سامية على الاطلاق ظهرت كتابيا لا يمكن الاستغناء عنها لدى كل دراسة لغوية مقارنة . بلى هي الأساس الأول والأخير لتحديد خصائص اللغة السامية الأم التي يفترض وجودها نظريا . فما السبب ياترى؟ وهل يعني ذلك أن اللغة العربية من أقدم ما يسمى باللغات السامية على الاطلاق؟

2 . 2 . يقول الدكتور فيليب حتي : «لفظة العرب من ناحية الاشتقاق سامية معناها (البادية) أو (ساكن البادية) وهي لا تعين قومية صاحبها . وهذا هو المعنى الذي أدته في العبرانية . وفي القرآن الأعراب هم البدو . وفي سفر المكابيين الثاني جاءت كلمة (العرب) بمعنى (البدو) . وأول نص صريح لمعنى هذه اللفظة في التوراة إنما هو في / ارميا 25 : 24 / (ملوك العرب) . وغالب الظن أن (الملوك) المشار إليهم هم مشايخ الشمال وبادية الشام . وما أقبل القرن الثالث قبل الميلاد حتى صار هذا اللفظ يطلق على ساكن الجزيرة كائنا من كان ...(16)» .

ويقول الدكتور جواد علي : «وترى علماء العرب حيارى في تعيين أول من نطق بالعربية . فبينما يذهبون إلى أن (يعرب) كان أول من أعرب لسانه وتكلم بهذا اللسان العربي ثم يقولون : ولذلك عرف هذا اللسان باللسان العربي ، تراهم يجعلون العربية لسان أهل الجنة ولسان آدم ، أي أنهم يرجعون عهده إلى مبدأ الخليقة ، وقد كانت الخليقة قبل خلق (يعرب) بالطبع بزمان طويل . ثم تراهم يقولون : أول من تكلم بالعربية ونسي لسان أبيه إسماعيل . ألهم إسماعيل هذا اللسان العربي إلهاما ، وكان أول من فتق لسانه بالعربية المبينة وهو ابن أربع عشرة سنة ، وإسماعيل هو جد العرب المستعربة على حد قولهم ... »(17) .

ويتابع الدكتور جواد علي فيقول : «وخلاصة ما تقدم أن لفظة (ع ر ب) هي بمعنى التبدي والاعرابية في كل اللغات السامية ، ولم تكن تفهم إلا بهذا المعنى في أقدم النصوص التاريخية التي وصلت إلينا وهي النصوص الآشورية . وقد عنت بها البدو عامة مهما كان سيدهم أو رئيسهم . وبهذا المعنى استعملت عند غيرهم . ولما توسعت مدارك الأعاجم وزاد اتصالهم واحتكاكهم بالعرب وبجزيرة العرب توسعوا في استعمال اللفظة حتى صارت تشمل أكثر العرب على اعتبار أنهم أهل بادية وأن حياتهم حياة أعراب . ومن هنا غلبت عليهم وعلى بلادهم فصارت علمية عند أولئك الأعاجم على بلاد العرب وعلى سكانها . وأطلق لذلك كتبة اللاتين على بلاد العرب لفظة ARABE ARABIA أي (العربية) بمعنى بلاد العرب(18)» .

ويقول الدكتور جواد علي : «اتفق الرواة وأهل الأخبار ، أو كادوا يتفقون ، على تقسيم العرب من حيث القدم إلى طبقات : عرب بائدة وعرب عاربة وعرب مستعربة ، أو عرب عاربة وعرب متعربة وعرب مستعربة ، أو عرب عاربة وعرباء وهم الخلص ، والمتعربة . واتفقوا ، أو كادوا يتفقون ، على تقسيم العرب من حيث النسب إلى

قسمين : قحطانية منازلهم الأولى في اليمن ، وعدنانية منازلهم الأولى في الحجاز . واتفقوا ، أو كادوا يتفقون ، على أن القحطانيين هم عرب منذ خلقهم الله وعلى هذا النحو من العربية التي نفهمها ويفقهها من يسمع هذه الكلمة . فهم الأصل والعدنانية الفرع ، منهم أخذوا العربية وبلسانهم تكلم أبناء إسماعيل بعد هجرتهم إلى الحجاز ، شرح الله صدر جدهم إسماعيل فتكلم بالعربية بعد أن كان يتكلم بلغة أبيه التي كانت الارمية أو الكلدانية أو العبرانية على بعض الأقوال»[19] .

2 . 3 . حصلت عام 1973 على درجة الدكتواره في علم اللغة المقارن التاريخي من جامعة موسكو ، وناقشت فيها رسالة عنوانها «مبادىء الدراسة المقارنة لترتيب الكلمات في اللغة العربية الفصحى واللغة الروسية الأدبية المعاصرة» . ولقد اتضحت لي بعض الحقائق الجديدة حول النظرية السامية منذ بدأت عام 1968 بإعداد رسالة الدكتوراه . ومنها ادعاء بعض المستشرقين أن صلة العربية الجنوبية بالعبرية أقوى من صلتها بالعربية الشمالية . ويرجع السبب في ذلك الادعاء إلى أن المستشرقين جميعا كانوا – حين يحللون الكتابات العربية الجنوبية (اليمنية القديمة) – يكتبونها أولا بالأحرف العبرية ثم يترجمونها إلى لغاتهم . ثم جاء الأكاديمي كراتشكوفسكي وقرر أن من الأفضل كتابتها بالأحرف العربية لأنها أكثر ملاءمة من الأحرف العبرية لخصائص البنية اللغوية للعربية الجنوبية .

وتابعت دراسة الموضوع بعد عودتي إلى الوطن ، فنشرت عام 1981 بحثا عنوانه : «السامية والساميون – العرب والعربية»[20] أكدت فيه أن تاريخ الأمة العربية ولغتها قد تعرضا لتشويه وتزييف خطيرين . فاضطررنا لدى تدريس تاريخنا إلى الاعتراف بأن العرب من الشعوب السامية . وأخذنا نتحدث عن الهجرات السامية في أول الأمر ، ثم عمدنا إلى القول بأن العرب هم الساميون ، فصرنا نقول «العرب الساميون» ونتحدث عن «الهجرات العربية السامية» . وكذا الحال بالنسبة للغة العربية . فأخذنا ندرس طلبتنا أن اللغة العربية من أسرة اللغات السامية .

وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن لفظة «سامي» – كما أشار الدكتور فيليب حتي – ذات مدلول يهودي قبل كل شيء في أوربا وأمريكا ، نكشف لنا أننا كنا طوال سنوات عديدة نتبنى ونردد حقائق زائفة ليس لها أي سند علمي ، ولا تستند إلا إلى التوراة التي تعتمد عليها الصهيونية في تأييد مزاعمها حول الحق التاريخي لليهود في فلسطين وبقية الأقطار العربية . وأصبح العرب والحالة هذه في وضع شاذ غريب لا مثيل له في التاريخ . فنحن نعترف أننا ساميون وأن لغتنا العربية من اللغات السامية . ويفهم العالم وخاصة في أوربا وأمريكا أن السامي هو اليهودي . والنتيجة المنطقية عندهم هي أن الشعب اليهودي هو الشعب الأول والأصيل في «أرض إسرائيل كما يزعمون وأن اللغة العبرية هي اللغة الأم لجميع اللغات السامية .

لذا فإننا نرفض فرضية أسرة اللغات السامية لأن الشواهد التاريخية العلمية لا تؤيدها . ولا يعني ذلك أننا نرفض الاقرار بوجود شبه كبير في أصوات اللغات التي صنفت ضمن أسرة اللغات السامية ومفرداتها وصرفها ونحوها . وإنما ينصب اعتراضنا الأساسي على وصف تلك اللغات بأنها (سامية) لأن لفظة (سامي) ذات مدلول يهودي في أوربا وأمريكا . ونرفض القول بوجود (الشعب السامي) مادام يستند فقط إلى افتراض وجود لغة ساميه ـــ أصل . وندعو إلى دراسة المادة اللغوية للعربية باستخدام منهج

تاريخي علمي متحرر من الآراء الواردة في التوراة حول نشأة اللغات البشرية .

ثالثا : الدعوة إلى دراسة المادة اللغوية للعربية باستخدام منهج تاريخي علمي .

3 . 0 . ينبع المنهج التاريخي العلمي الذي ندعو إليه في دراسة اللغات من اتجاه مدرسة أبي علي الفارسي اللغوية الذي بلوره ابن جني في (الخصائص) وعبد القاهر الجرجاني في (دلائل الاعجاز في علم المعاني) في نظريتين لغويتين متتامتين[21] .

3 . 1 . بعض جوانب نظرية ابن جني التي بلورها في «الخصائص» .

أ -انطلق ابن جني من منطلق وصفي لأن بحثه في «الخصائص» كان يدور بشكل رئيسي في نطاق بنية الكلمة المفردة . فعمد إلى دراسة الأصوات التي تتألف الكلمات منها وسعى إلى اكتشاف القوانين التي تنظم العلاقة بين الأصوات في الكلمة . فبحث في الاشتقاق وأنواعه ودرس التقليبات الممكنة للكلمة الواحدة . وبين أن الأمر المشترك الذي يجمع التقليبات هو وحدة المعنى وأفضى ذلك به إلى القول بوجود علاقة مناسبة طبيعية بين الصوت والمدلول . ويعني هذا أن ابن جني لجأ إلى الوصف التطوري لبنية الكلمة الذي يأخذ بالاعتبار عامل الزمن .

ب -اهتم ابن جني باكتشاف القوانين العامة للنظام اللغوي . لذا لم يتبن - لدى البحث في نشأة اللغات - نظرية التوقيف أو الاصطلاح ، بل جوزهما على حد سواء لأن ذلك لا يغير من حقيقة القوانين اللغوية . ولكن ابن جني أكد بشكل حازم على أمرين :

1 - لم تنشأ اللغة في وقت واحد بل نشأت في أوقات متلاحقة .

2 - كانت اللغة باستمرار تحافظ على اتساق نظامها .

ج - بحث ابن جني في القوانين الصوتية العامة التي ترجع إلى الخصائص الفزيولوجية للانسان (وعبر عنها بحس المتكلم) . كما وازن بين لغة العرب ولغة العجم .

3 . 2 . بعض جوانب نظرية الامام الجرجاني التي بلورها في «دلائل الاعجاز في علم المعاني»

أ -انطلق عبد القاهر الجرجاني من منطلق وصفي وظيفي لأنه بحث في نظم الكلم . فعمد إلى بيان ارتباط خصائص بنية الكلمة المفردة بالوظيفة التي تؤديها في الكلام ، انطلاقا من الوظيفة الأساسية للغة كوسيلة لاتصال الناس بعضهم ببعض . وكان يرى أن اللغة نظام لربط الكلمات . ولدى السعي لاكتشاف هذا النظام ، لم يكن الجرجاني بحاجة إلى وصفه وصفا تطوريا ، بل عمد إلى وصفه وصفا تزامنيا . وأدى ذلك به إلى القول باعتباطية الاشارة اللغوية .

ب -انصب اهتمام الجرجاني على اكتشاف القوانين للنظام اللغوي وأكد على ارتباط اللغة بالفكر . ولدى البحث في نشأة اللغات ، بين دور التفكير في نشأة اللغة . وجوز الجرجاني - كما فعل ابن جني - القول بأن اللغة تواضع أو إلهام . ولكنه أكد أن مهمة الكلمات المفردة لم تقتصر منذ بداية وضعها على (التسمية) فقط بل كانت

مهمتها مرتبطة أيضا ب (الاخبار) .

ج -بحث الجرجاني في القوانين اللسانية العامة .

وقرر ما يلي :

1 - لا يمكن أن تكون الكلمة المفردة أدل على معناها الذي وضعت له من كلمة أخرى ، سواء أكان ذلك في لغة واحدة أم في لغات مختلفة .

2 - الخبر معنى بين شيئين ، وليس في الدنيا خبر يعرف من غير هذا السبيل .

إنني أرى أن ***نظريتي ابن جني والجرجاني متتامتان ، بل يصح القول أنهما تؤلفان جانبين لنظرية لسانية واحدة تعبر - برأيي - عن اتجاه مدرسة أبي علي الفارسي اللغوية*** . ويظهر التتام بين النظريتين جليا في الأمرين التاليين :

1 - ضرورة الربط بين الدراسة التزامنية للنظام اللغوي (التي تقدمها نظرية الجرجاني) والدراسة التطورية له (التي تقدمها نظرية ابن جني) .

2 - ضرورة الربط بين القول بأن اللغة لم تنشأ دفعة واحدة (الذي اعتمدته نظرية ابن جني) والقول بارتباط نشأة اللغة بالتفكير (الذي اعتمدته نظرية الجرجاني) ويعني ذلك أن اللغة قد نشأت وتطور نظامها واكتمل ، بشكل مواز لنشأة التفكير الانساني وتطور نظامه واكتماله .

3 . 3 . وأرى أن الملامح العامة لاتجاه مدرسة أبي علي الفارسي اللغوية يمكن تحديدها في المبادىء التالية :

1 - الانطلاق من مفهوم منظومي للغة .

2 - اللغة ظاهرة اجتماعية ، وترتبط البنية اللغوية بوظيفة الاتصال التي تؤديها اللغة .

3 - تلازم اللغة والتفكير .

وبما أن النظام اللغوي في حركة مستمرة ، لذا يجب أن يستخدم في دراسته منهج تاريخي علمي .

3 . 4 . ويقوم المنهج التاريخي العلمي - الذي استنبطناه من التتام بين نظريتي ابن جني وعبد القاهر الجرجاني - على المبادىء التالية :

1 - اللغة ظاهرة اجتماعية ترتبط بالتفكير منذ نشأتها .

2 - يجب علينا - لدى دراسة النظام اللغوي - أن نهتم بما هو عام ومطرد دون أن نهمل الاستثناءات ، لأنها تعتبر شواهد على مراحل سابقة أو بدايات لتطور جديد .

3 -يؤلف النظام اللغوي كلا واحد ، توجد المستويات المتدرجة للبنى اللغوية فيه في علاقة تأثير متبادل فيما بينها . ويحتل مستوى البنية الصوتية مرتبة المستوى الأساسي والموجه بالنسبة لبقية المستويات ، لذا تنعكس خصائصه في المستويات اللغوية الأعلى . ولا يمكن تفسير خصائص المستوى الصوتي بحقائق من المستويات الأعلى ، في حين أن العكس ممكن .

3 . 5 . تستهدف دعوتنا إلى استخدام منهج تاريخي علمي في دراسة المادة اللغوية للعربية اكتشاف التاريخ الحقيقي للغة العربية وبالتالي التاريخ الحقيقي للأمة العربية .

ونبدأ في تنفيذ هذه الدعوة ***بالاجابة عن السؤال*** الذي طرحناه في الفقرة الأولى :

هل ترتبط بدائية نشأة اللسان العربي ببداية تشكل الكلام الانساني؟

إنه ليصعب نظريا تصور استمرار وجود لغة حقيقية حتى الوقت الراهن ، تحمل مادتها عناصر تتوافر فيها الصفات الموضوعية للأصل الأول في نشأة الكلام الانساني ، ويمكن أن تكون نموذجا لبداية تشكل الكلام الانساني . إلا أنه لا يوجد برأينا ما يحرم من حيث المبدأ دراسة مادة لغوية للغة حقيقية من أجل بيان هل تقدم مادتها العناصر التي تتوافر فيها الصفات الموضوعية للأصل الأول في نشأة الكلام الانساني .

وبما أن المعاجم العربية هي التي حفظت لنا المادة اللغوية للعربية منذ النشأة الأولى للعربية وحتى يومنا الراهن ، يتوجب البحث في الأصل في المعجم العربي والأصل في الاشتقاق في العربية استنادا إلى المنهج التاريخي العلمي .

رابعا : الأصل في المعجم العربي والأصل في الاشتقاق في العربية

4 . 0 . قرر علماء العربية ***أن المبدأ الذي يقوم عليه نظام المعجم العربي هو الأصل المجرد من حروف الزيادة*** . ويتحدد وفق قواعد الاشتقاق الصغير (في علم الصرف) كيف يتم الحصول على الأصل المجرد من حروف الزيادة . ***فهل يعني ذلك أنهم قرروا أن الأصل في المعجم هو الأصل في الاشتقاق؟***

يوجد اتجاهان في تحديد العلاقة بين الأصل في المعجم العربي والأصل في الاشتقاق في العربية :

الأول : اتجاه علماء البصرة : يقول بتمايز الأصل في المعجم عن أصل الاشتقاق في العربية فبالنسبة لأصل المعجم العربي ، يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الأصل في المعجم مادة مجردة (الحروف الثلاثية الأصلية) يتم الحصول عليها بالاستنباط الصرفي وليس الأصل صيغة لغوية حقيقية . ***وبالنسبة لأصل الاشتقاق في العربية*** ، يرون أن أصل الاشتقاق هو المصدر وهو الصيغة اللغوية الأولى التي يتولد منها النظام اللغوي .

الثاني : اتجاه علماء الكوفة والمستشرقين وعلماء الساميات : يقول بعدم تمايز الأصل في المعجم عن أصل الاشتقاق في العربية . ***فبالنسبة لأصل المعجم العربي*** ، يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الأصل صيغة لغوية حقيقية هي صيغة الفعل الماضي المجردة المسندة للشخص الثالث المفرد المذكر . ***وبالنسبة لأصل الاشتقاق في العربية*** ، يرون أنه الأصل المعجمي نفسه .

وكنا نتبنى الاتجاه الثاني .

4 . 1 . كتب الدكتور تمام حسان في كتابه «اللغة العربية – معناها ومبناها»[22] ما يلي :

((ومعنى الحدث مشترك بين جميع المشتقات ، ولكن كل مشتق منها يضم إلى الحدث معنى آخر ... وأما المصدر فهو اسم الحدث فقط إذ لا يدل على معنى آخر إلى جانب الحدث . ولذلك رآه البصريون أصلا للاشتقاق حين نظروا من هذه الزاوية ، وأوردوا في تدعيم ذلك مناقشات طويلة . وأما وجهة النظر الكوفية فقد نظرت إلى المشكلة من ناحية التجرد والزيادة . فالمجرد من بين هذه الصيغ هو في فهم أصحاب هذه النظرة أقرب إلى الأصالة من المزيد . وقد نظروا في صيغ الكلام فلم يجدوا أكثر تجردا من الفعل الماضي الثلاثي المجرد المسند إلى المفرد الغائب نحو (ضرب) فقالوا إن أصل المشتقات هو الفعل الماضي ، وأورد هؤلاء أيضا في تدعيم نظرتهم مناقشات ضافية)) .

ويعقب الدكتور تمام حسان على الرأيين فيقول : والواقع أن الصعوبات تقوم فعلا دون الاقتناع برأي البصريين أو برأي الكوفيين على حد سواء . فأما للرد على البصريين فأنا أسألهم عن

(كان) الناقصة (وهي عندهم فعل) ألها مصدر أم لا مصدر لها؟ إن مذهبهم يقول إن كان الناقصة لا مصدر لها ومع ذلك يعتبرونها مشتقة ، فما أصل اشتقاقها؟ وأما للرد على الكوفيين فإن (يدع) و (يذر) في رأيهم لا ماضي لهما وهما مشتقان على رغم ذلك ، فما أصل اشتقاقهما إذا؟

ثم يقدم الدكتور تمام حسان رأيا ثالثا في الاشتقاق فيقول :
والذي أراه أجدى على دراسة هذه المشكلة (مشكلة الاشتقاق) أن يعدل الصرفيون بها عن طريقهم إلى طريقة المعجميين بل أن يجعلوا دراستها في دراسة علم الصرف حسبة لوجه علم المعجم : مبتعدين بها عن شكلية الصيغ أو الزوائد والملحقات ذات المعاني الوظيفية جانحين بها في اتجاه المعجم بحيث يكون (الاشتقاق) حدودا مشتركة بين المنهجين . وإذا صح لنا أن نوجد رابطة بين الكلمات فينبغي لنا ألا نجعل واحدة منها أصلا للأخرى ، وإنما نعود إلى صنيع المعجميين بالربط بين الكلمات بأصول المادة فنجعل هذا الربط بالأصول الثلاثية أساس منهجنا في دراسة الاشتقاق . وبذلك نعتبر الأصول الثلاث أصل الاشتقاق فالمصدر مشتق منها والفعل الماضي مشتق منها كذلك .

4 . 2 . بالاستناد إلى المنهج التاريخي العلمي في دراسة اللغات ، ***نرى أن اللغة الانسانية كانت منذ نشأتها الأولى عبارة عن أصوات نطقها الانسان بشكل واع لاستخدامها وسيلة لابلاغ الآخرين أغراضه وفهم أغراضهم في عيشه المشترك معهم من ناحية ، ولاستخدامها من ناحية أخرى وسيلة يصوغ بوساطتها أفكاره ويعبر عن مشاعره . وتحدد الأمور المشتركة بين البشر جميعا الصفات العامة للغات الانسانية*** . وتتمثل تلك الأمور المشتركة فيما يلي :

1 - البنية التشريحية الواحدة لجهاز النطق الانساني .
2 - الطرائق العامة الواحدة للتفكير الانساني .
3 - النزوع الانساني الواعي للحياة الاجتماعية .
وتتلخص هذه الأمور المشتركة في العبارة القديمة التي عرفت ***الانسان*** بأنه كائن ***ناطق مفكر اجتماعي*** .
ومن استعراض التاريخ الحضاري للانسانية يظهر أن التفكير الانساني لم ينشأ مكتملا طفرة واحدة وأن خط السير العام لتطور التفكير الانساني انطلق من إدراك المشخص المحدد (بحاستي السمع والبصر) واكتمل بالانتقال إلى المجرد العام . وقد تطورت البنية اللغوية واكتملت تدريجيا بشكل مواز لتطور التفكير الانساني واكتماله .

وبنتيجة التعمق في دراسة المادة اللغوية للعربية باستخدام المنهج التاريخي العلمي ، تأكد لنا تمايز الأصل في المعجم العربي عن أصل الاشتقاق في العربية . وقررنا رأيا خاصا بنا بشأن العلاقة بين الأصل في المعجم وأصل الاشتقاق اللغوي ، هو التالي :
الأصل في المعجم اللغوي الانساني رصيد للأصوات اللغوية التي تتألف منها مفردات اللغة من ناحية أولى ، وللمدلولات التي ترتبط بها من ناحية ثانية . والأصل في الاشتقاق في النظام اللغوي الانساني هو الصيغة اللغوية الانسانية الأولى التي ولد تطورها النظام اللغوي الانساني في جميع مستوياته .

4 . 3 . لذا نقرر أن ***الأصل في المعجم العربي (ك . ت . ب) رصيد للأصوات اللغوية التي تتألف منها المفردات العربية من ناحية وللمدلولات التي ترتبط بها من ناحية ثانية*** . ويعني هذا أن ***الأصل في المعجم العربي ليس صيغة الفعل الماضي للشخص الثالث المفرد المذكر / كتب (هو) / .***
ويظهر ذلك أن علماء البصرة أصابوا حين قرروا أن الأصل ليس صيغة الفعل الماضي للشخص الثالث

المفرد المذكر نفسها . ولكن علماء البصرة لم يصيبوا حين قرروا أن الأصل مادة أصلية ويقصدون بذلك الحروف المجردة أي صيغة افتراضية (مجردة) لأن الأصل الأول في المعجم اللغوي الانساني صيغة صوتية (مادية) ترتبط بالنشأة الصوتية للغة الانسانية . وسنفصل القول في ذلك بعد عرض رأينا في نشأة الكلام الانساني .

أما بالنسبة ***للأصل في الاشتقاق في العربية ، فنقرر أنه الصيغة اللغوية الانسانية الأولى . فما هي الصيغة اللغوية الانسانية الأولى؟*** ينقلنا ذلك إلى عرض رأينا في نشأة الكلام الانساني .

خامسا : رأينا في نشأة الكلام الانساني :

5 . 0 .بعد الرجوع إلى أبحاث معمقة حول الكلام الانساني ونشأته في اللسانيات العامة والتاريخ الحضاري الانساني والأنثروبولوجيا والفلسفة وعلم النفس وعلم الأديان المقارن ، بلورنا ***نظريتنا في نشأة الكلام الانساني*** .

ولما كانت بنية اللغة الانسانية تتألف من جانبين : صوتي (مادي) ودلالي (معنوي) ، فمن الطبيعي أن ننطلق في البحث في نشأة اللغات الانسانية من تحليل الجانب الصوتي لننفذ من خلاله إلى تحليل الجانب الدلالي . وإننا ، إذ نتمسك بالمنهج التاريخي العلمي لدى دراسة نشأة اللغة الانسانية ، نؤكد ضرورة الربط بين الدراسة التطورية لبنية اللغة الانسانية (التي تكشف – كما قال ابن جني – وجود علاقة بين مناسبة طبيعية بين الصوت والمدلول بنتيجة المحاكاة) وبين الدراسة التزامنية لبنية اللغة الانسانية (التي تقول – كما أكد الجرجاني – بعدم وجود مناسبة طبيعية بين الصوت والمدلول وترى أن العلاقة بينهما اعتباطية حددها التواضع) .

5 . 1 . لذا نرى إدراك العلاقة الذهنية بين الصوت وما يشير إليه كان البداية الأولى في تكوين التفكير الانساني . ويعني ذلك بالضرورة أن ***الكلام الانساني قد مر في نشأته بطور أولي كان أصل المعجم اللغوي فيه عبارة عن محاكاة لأصوات الحيوان وظواهر الطبيعة*** ، لأن تلك المحاكاة كانت بمثابة قرينة تساعد الانسان القديم في الادراك الذهني للعلاقة بين الصوت وما يشير إليه . وعقبه ***طور ثان*** انعدمت فيه محاكاة أصوات الحيوان وظواهر الطبيعة وظهر فيه ***أصل جديد للمعجم اللغوي كانت العلاقة فيه بين الصوت والمدلول اعتباطية تقوم على التواضع الانساني***[23] .

5 . 2 . ولذا نعلن أننا ***نرفض رأي سوسور بأن العلامة اللسانية لا تربط شيئا باسم***[24] وأنها كيان نفسي ذو وجهين : الأول – التصور أو المدلول ، والثاني – الصورة السمعية أو الدال . ***ونرى أن العلامة اللسانية كانت منذ النشأة الأولى للكلام الانساني تربط شيئا باسم*** . لقد نزع سوسور من الدال الصيغة الصوتية ، لذا اضطر إلى استخدام مصطلح (اللغة : langage) للربط بين (اللسان : langue) (والكلام : parole) . وهكذا يتحدد نطاق اللغة عند سوسور بقصرها على التداعيات القائمة في الدماغ بين معنى الكلمات وصورها السمعية ، أي في نطاق ما يسمى اللغة الداخلية . ويؤدي ذلك إلى ***الفصل بين نشأة اللغة المنطوقة وبين نشأة التفكير ، وافتراض أن نشأة التفكير أسبق من نشأة اللغة المنطوقة*** . لذا فإننا نرفض التمييز التبريري بين مصطلحي (اللسان) و (اللغة) ونرى أنهما يعبران عن شيء واحد . وعليه لا نرى فرقا بين قولنا في العصر الحديث (اللسان العربي) وقولنا (اللغة العربية) . ونقر بضرورة التمييز بين اللغة أو اللسان وبين الكلام .

5 . 3 . إن اللغة الانسانية حسب مارتينيه[25]

قابلة للتقطيع على صعيدين : الوحدات الدالة (مونيمات) على الصعيد الأول ، وبضع عشرات من الوحدات الصوتية (فونيمات) على الصعيد الثاني . والكلام الانساني وحده قابل لمثل ذلك التقطيع المزدوج . ومبدأ التقطيع المزدوج قانون أساسي من قوانين اللغة الانسانية .

صحيح أن الفونيم هو وحدة صوتية دنيا تتمتع بجملة من الصفات تميزها من وحدة صوتية دنيا أخرى في نفس النظام اللغوي . ولكنا نرى أن الفونيم وحدة صوتية افتراضية لأن التقطيع الفعلي للصيغة الصوتية للوحدة الدالة (مونيم) لا يوصلنا إلى الفونيم ، بل يوصلنا فقط إلى المقطع الصوتي (Syllable) . وعليه فإننا ***لا نوافق مارتنيه في أن مبدأ التقطيع المزدوج قانون أساسي من قوانين اللغة الانسانية . ونرى أن القانون الأساسي في جميع اللغات الانسانية هو مبدأ تقطيع السلسلة الصوتية إلى مقاطع صوتية يتألف منها الكلام الانساني .***

ولا بد من الاشارة هنا إلى أن الدراسات الأنثروبولوجية قد أثبتت بشكل جازم أن حنجرة الانسان القديم (الذي انقرض) ما كانت تسمح له إلا ينطق أصوات مندمجة بعضها ببعض مثله في ذلك مثل سائر الحيوانات الناطقة . ويعني ذلك أن الانسان القديم لم يكن قادرا على تقطيع الأصوات التي تتألف منها اللفظة التي حاكى فيها أصوات الحيوان إلى مقاطع صوتية متميزة . ثم تطورت البنية التشريحية للحنجرة عند الانسان الحديث فتمكن من تغيير نطق تلك اللفظة بتقطيعها إلى مقاطع صوتية متميزة . فتميز حينئذ النطق الانساني (عند الانسان الحديث) عن النطق الحيواني ، وظهرت اللغة الانسانية التي تقوم على مبدأ تقطيع السلسلة الصوتية إلى مقاطع صوتية يتألف منها الكلام الانساني .

لذا فإننا نميز في الطور الأول في نشأة الكلام الانساني (الذي ظهر فيه أصل معجمي بنتيجة محاكاة أصوات الحيوان وظواهر الطبيعة) مرحلتين : الأولى – مرحلة محاكاة أصوات الحيوان ، والثانية – مرحلة محاكاة ظواهر الطبيعة .

أ –المرحلة الأولى : كانت مرحلة تمهيدية لنشأة الكلام الانساني . ظهر فيها الأصل المعجمي الأول الذي حاكى فيه الانسان القديم أصوات فصائل الحيوان التي تمتلك جهازا للتصويت قريبا من جهاز التصويت عنده ، لذا نطقه مثلها في مجموعة صوتية مندمجة (شحج ، نزب) .

ب –المرحلة الثانية : كانت مرحلة بداية نشأة الكلام الانساني ، بدأت بظهور الصيغة اللغوية الانسانية الأولى ، ثم ظهرت فيها أصل معجمي ثان حاكى فيه الانسان أصوات ظواهر الطبيعة .

5 . 5 . ***هل كان الأصل المعجمي الأول الذي ظهر في المرحلة الأولى من الطور الأول في نشأة الكلام الانساني صيغة لغوية إنسانية؟***

كنا في مقالة «نظرة جديدة إلى المعجم العربي»[26] قد ذكرنا ما يلي : «***ما هو السبب في أن نظام المعجم العربي بني انطلاقا من الأصل ثلاثي الأصوات الصامتة؟ ولماذا يعتبر ذلك الأصل خوارزما رياضيا لاشتقاق كلمات وصيغ جديدة منه؟ ولماذا حافظ هذا الأصل الثلاثي على لحمته دون تغيير على مر القرون؟*** لاشك أن هناك سرا يرتبط بطبيعة الأصل العربي ثلاثي الأصوات الصامتة فما هو ذلك السر؟ وكيف نكشفه؟»

وبالرجوع إلى الدراسات الصوتية في علم اللغة العربية وعلم اللغة العام وعلم اللغة المقارن قررنا أن «الأصل المؤلف من ثلاثة أصوات صامتة

(شحج ، نزب) كان الانسان البدائي يلفظه في مقطع صوتي واحد لأنه يحاكي أصوات الحيوان ، فلا تتميز في الأصل أصوات منفصلة بعضها عن بعض في مقاطع صوتية منفصلة ، بل تتصل بكل صوت صامت فتحة خفيفة تمكن فقط من النطق به» .

ولدى التعمق في دراسة المادة اللغوية للعربية ، يتضح لنا أن الأصل الأول (نزب ، شحج) لم يكن يشتمل على ما يشير إلى أقسام الكلم أو الجنس أو العدد بل كان يفيد الفعل والفاعل معا ويؤدي وظيفة إبلاغ ضيقة جدا لا تتعدى – برأينا – التنبيه الصوتي الارادي بدلا من الصيحات غير الارادية التي كان الانسان القديم يصدرها . ولكن هذا الأصل لعب على الرغم من ذلك دورا هاما في بداية تكوين التفكير الانساني تجلى في إدراك العلاقة بين الصوت والشيء الذي يسميه من ناحية ، وفي تمييز الشخص الثالث (غير المتكلم وغير المخاطب) من ناحية أخرى . كما لعب دورا هاما آخر تجلى في الاستخدام الارادي لمجموعة الأصوات المندمجة التي حاكاها الانسان منذ البداية الأولى لنشأة الكلام الانساني .

وهكذا يظهر أن هذا ***الأصل الأول كان شبيها بصيحة تنبيه إرادية . ويعني ذلك أن الأصل الأول لم يكن بداية عملية التخاطب الانساني اللساني . بل كان تمهيدا ضروريا لها*** تجلى في الانتقال من إصدار صيحات غير إرادية إلى إصدار صيحات تنبيه إرادية لا تشتمل على تمييز الفعل من الفاعل من ناحية ولا تشتمل على تمييز الجنس والعدد من ناحية أخرى . واقتصر الأصل الأول على التعبير عن تمييز الشخص الثالث الذي كان يمثل بالنسبة للانسان القديم في تلك المرحلة كل ما يتحرك ويصدر صوتا أمكن محاكاته من دون تمييز لجنسه أو عدده . لذا لم يكن هذا الأصل الأول كلمة – جملة بالمعنى اللساني لأن التخاطب الانساني اللساني لا يمكن أن يقوم إلا بعد تمييز الشخص الثاني (المخاطب) . ويعني ذلك أن ***الأصل الأول لم يكن صيغة لغوية إنسانية ، بل كان أصلا تاريخيا حيوانيا مهد لنشأة اللغات الانسانية .***

وبذل الانسان القديم قصارى جهده في السعي إلى خلخلة وحدة المجموعة الصوتية المندمجة التي تألف منها الأصل الأول ، وذلك من أجل توليد ألفاظ مقطعة تسد حاجته ا لمتزايدة في الاتصال الارادي بالآخرين . ***ونجح الانسان القديم في خلخلة وحدة المجموعة الصوتية المندمجة للأصل الأول حين قطعها فحصل منها على لفظة الطلب (الأمر) للشخص الثاني التي نطقها في مجموعتين صوتيتين (شحجْ ، نزبْ)*** . وكانت لفظة الأمر هذه أول كلمة جملة بالمعنى اللساني حملت معها بداية تشكل النظام الصوتي للعربية . كما حملت في الوقت نفسه بداية عملية الاتصال والتخاطب الانساني اللساني نتيجة لتمييز الشخص الثاني (المخاطب) من دون تمييز لجنسه أو عدده .

وحين نجح الانسان القديم في الحصول على لفظة الأمر للشخص الثاني (التي حملت في طياتها تمييز الشخص الثاني – المخاطب من ناحية أولى ، وغرضا ابلاغيا يزيد إيصاله للمخاطب من ناحية ثانية) ***بدأت عملية التخاطب الانساني اللساني .*** وصاحبت عملية التخاطب بداية تبلور الأصوات اللغوية الانسانية التي تجلت في التقطيع الارادي لمجموعة الأصوات المندمجة في الأصل الأول (التاريخي الحيواني) إلى مجموعتين صوتيتين متصلتين في لفظة واحدة (شحجْ ، نزبْ) .

وهكذا يظهر أن ***الأصل الأول التاريخي الحيواني (شحج ، نزب)*** الذي كان ينطق في مجموعة أصوات مندمجة بعضها ببعض ***كان أصلا في المعجم العربي ولم يكن أصلا حقيقيا للاشتقاق في العربية ،*** بل استخدم رصيدا للأصوات اللغوية من ناحية أولى

وللمدلولات التي ترتبط بها من ناحية ثانية . وقد ظهرت من تقطيعه الصيغة اللغوية الأولى للتخاطب الانساني اللساني – صيغة الأمر للشخص الثاني (شحج) . ومن تطور هذه الصيغة اللغوية الأولى تولدت اللغة الانسانية واكتملت نظاما كاملا للأصوات والدلالات في جميع المستويات : مستوى الأصوات اللغوية ومستوى البنية الدلالية للمفردات في إطار المعجم ومستوى البنية الصرفية للكلمات المفردة والبنية النحوية للتراكيب (المستوى القواعدي) . وخضع تطور صيغة الأمر للشخص الثاني الذي ولد النظام اللغوي الانساني لقانون أساسي للتطور الصوتي . وارتبط به قانون توسع اللغة في القيام بوظيفة الاتصال من ناحية وقانون توسع اللغة في القيام بالتعبير عن الأفكار من ناحية ثانية .

وبذا نكون قد حللنا لغز طبيعة الأصل السالم الثلاثي في المعجم العربي الذي حافظ على لحمته من دون تغيير على مدى القرون وكان خوارزما رياضيا لتوليد النظام اللغوي للعربية في جميع مستوياته عن طريق الصيغة اللغوية الأولى للتخاطب الانساني اللساني – صيغة الأمر للشخص الثاني – التي أخذت منه عن طريق تقطيع مجموعة الأصوات المندمجة التي كان الأصل الأول (الثلاثي السالم) يتألف منها .

5 . 6 . *هل كان الأصل المعجمي الثاني الذي ظهر في المرحلة الثانية من الطور الأول في نشأة الكلام الانساني صيغة لغوية إنسانية؟*

تصدر بعض ظواهر الطبيعة بنتيجة الحركة مجموعات من الأصوات المندمجة بعضا ببعض ، ولكنها تتميز عن المجموعات المندمجة التي تصدرها فصائل الحيوان التي حاكاها الانسان في المرحلة الأولى بأن مجموعات الأصوات المندمجة الطبيعية أقصر . وكان الانسان القديم في المرحلة الأولى عاجزا عن محاكاة أصوات ظواهر الطبيعة هـذه بسبب قصرها ،لأن حنجرته لم تكن تمكنه من نطق مثل تلك المجموعات المندمجة القصيرة والتوقف عن النطق بعدها مباشرة . ولكن نجاح الانسان القديم في نطق أول صيغة لغوية إنسانية (عن طريق تقطيع مجموعة الأصوات المندمجة في الأصل الأول التاريخي الحيواني إلى مجموعتين صوتيتين متصلتين في لفظة واحدة) ***كان تطورا هاما في البنية التشريحية لحنجرة الانسان القديم حمل معه بداية انقراض الانسان القديم وبداية ظهور الانسان الحديث*** ، كما حمل معه بداية عملية التخاطب الانساني اللساني وبداية مرحلة جديدة هي المرحلة الثانية من الطور الأول في نشأة الكلام الانساني .

وهكذا ***استطاع الانسان الحديث في هذه المرحلة الثانية محاكاة أصوات ظواهر الطبيعة التي تصدر مجموعة قصيرة من الأصوات المندمجة بعضها ببعض بأن عمد إلى تكرار نطق محاكاتها في لفظة واحدة متصلة*** ، ليتخلص بذلك من صعوبة التوقف عن النطق بعد محاكاة تلك الأصوات في المرة الأولى (خرْ ← خرْخرْ / صلْ ← صلْصلْ) ، وذلك على غرار ما فعله الانسان الحديث حين خلخل الوحدة الصوتية المندمجة للأصل الأول التاريخي الحيواني فقطعها إلى مجموعتين متصلتين في لفظة واحدة . ثم ***استطاع الانسان الحديث محاكاة أصوات فصائل أخرى من الحيوان تصدر مجموعات صوتية مندمجة قصيرة مماثلة لأصوات ظواهر الطبيعة*** (زق ← زقْ زقْ) .

ولدى التعمق في دراسة المادة اللغوية للعربية يتضح لنا أن هذا ***الأصل الثاني الطبيعي – الحيواني*** (خرْخرْ ، زقْ زقْ)– الذي ظهر في المرحلة الثانية من الطور الأول في نشأة الكلام الانساني – كان على غرار الأصل الأول الحيواني لا يشتمل على ما يشير إلى أقسام الكلم أو الجنس أو العدد ، وكان يفيد

الفعل والفاعل معا . لذا لم يكن الأصل الثاني كلمة – جملة بالمعنى اللساني ، ***أي لم يكن صيغة لغوية إنسانية ، بل كان أصلا تاريخيا طبيعيا – حيوانيا مهد للتوسع في نشأة اللغات الانسانية*** .

وهكذا يظهر أن الأصل التاريخي الطبيعي – الحيواني الذي كان ينطق في مجموعتين صوتيتين متماثلتين ومتصلتين في لفظة واحدة (خرْخرْ ، زقْ زقْ) ***لم يكن أصلا حقيقيا للاشتقاق في العربية ، بل كان أصلا في المعجم العربي*** استخدم رصيدا للأصوات اللغوية من ناحية وللمدلولات التي ترتبط بها من ناحية ثانية . وبذل الانسان الحديث قصارى جهده في تغيير نطق المجموعتين الصوتيتين المتماثلتين المتصلتين في لفظة واحدة هي الأصل الثاني من أجل الحصول منه على الصيغة الأولى للتخاطب الانساني اللساني – صيغة الأمر للشخص الثاني . ونجح في ذلك حين تمكن من تغيير نطق المجموعة الثانية من الأصل التاريخي الطبيعي – الحيواني لتتمايز عن نطق المجموعة الأولى (خرْخرْ ← خرْخِرْ ، زقْ زقْ ← زقْ زِقْ) .

وحدث تطور في التقطيع الصوتي حين تمكن الانسان الحديث من تغيير طريقة التكرار التي عرفها في الأصل التاريخي الطبيعي الحيواني . وتم ذلك حين نجح الانسان في عدم تكرار نطق المجموعة القصيرة من الأصوات المندمجة بعضها ببعض التي حاكى فيها أصوات ظواهر الطبيعة ، بل عمد إلى تقطيع المجموعة الصوتية القصيرة المندمجة ونطقها في مقطعين صوتيين متصلين في لفظة واحدة هي صيغة الأمر عن طريق تكرار نطق الصامت الثاني منها . وحسب نجاح الانسان في طريقة تكرار الصامت الثاني تحدد نوع التقطيع الصوتي الذي بلغه :

(خرْ ← خُرُرْ)تقطيع إلى مقطعين صوتيين قصيرين مغلقين .

(خرْ ← خُرْر)تقطيع إلى مقطعين صوتيين الأول مغلق والثاني مفتوح .

5 . 7 . أما بالنسبة ***للطور الثاني في نشأة الكلام الانساني*** (الذي ظهر فيه أصل معجمي كانت العلاقة فيه بين الصوت والمدلول اعتباطية تقوم على التواضع الانساني) ، فنقرر ***أن الأصل التواضعي كان الصيغة اللغوية الانسانية الأولى – صيغة الأمر للشخص الثاني*** . ونرى أن ***الطور الثاني مر بمرحلتين*** : المرحلة الأولى كان الأصل التواضعي فيها مؤلفا من صامتين نطقا في البداية في مقطعين صوتيين قصيرين الأول مغلق والثاني مفتوح (رْمِ ، سْمَ) . وفي نهاية المرحلة الأولى نطق الصامتان في مقطع صوتي واحد قصير مغلق (قُمْ ، نمْ) . ومهد ذلك للانتقال إلى المرحلة الثانية التي ظهر فيها أصل تواضعي مؤلف من صامت واحد ينطق في مقطع صوتي قصير مفتوح (قِ ، فِ) .

سادسا : نظرة صوتية جديدة إلى المعجم العربي .

6 . 0 . قررنا في الفقرة السابقة (خامسا) أن نشأة الكلام الانساني مرت بطورين ومر كل طور منهما بمرحلتين .

الطور الأول : كان الأصل المعجمي فيه محاكاة لأصوات الحيوانات والطبيعة .

أ - **المرحلة الأولى** : ظهر فيها أصل تاريخي حيواني مهد لنشأة اللغات الانسانية . كان هذا الأصل ينطق في مجموعة أصوات مندمجة بعضها ببعض (شحج ، نزب) . ولم يكن صيغة لغوية إنسانية ، أي أنه لم يكن أصلا للاشتقاق في النظام اللغوي الانساني .

ب -**المرحلة الثانية** : ظهر فيها أصل تاريخي طبيعي حيواني مهد للتوسع في نشأة اللغات الانسانية . كان هذا الأصل ينطق في مجموعتين صوتيتين متماثلتين ومتصلتين في لفظة واحدة (خرْخرْ ، زقزق) ولم يكن أصلا للاشتقاق في النظام اللغوي الانساني .

هذا وقد حصل الانسان على الصيغة اللغوية الانسانية الأولى – صيغة الأمر العامة للشخص الثاني – عن طريق تقطيع نطق الأصل التاريخي الحيواني (شحج ← شْحجْ) (نزب ← نْزبْ) وعن طريق تغيير تقطيع نطق الأصل التاريخي الطبيعي الحيواني (خرْخرْ ← خرْخِرْ ، زقْ زقْ ← زقْزِقْ) أو عن طريق تغيير طريقة التكرار المتبعة في الأصل التاريخي الطبيعي الحيواني (خرْ ← خُـرُرْ ، خرْ ← خُرْر) .

الطور الثاني : انعدمت في الأصل المعجمي محاكاة أصوات الحيوان وظواهر الطبيعة وكانت العلاقة فيه بين الصوت والمدلول اعتباطية تقوم على التواضع الانساني . وكان هذا الأصل التواضعي الصيغة اللغوية الانسانية الأولى – صيغة الأمر العامة للشخص الثاني .

أ -**المرحلة الأولى** : كان الأصل مؤلفا من صامتين ونطقا في مقطعين صوتيين (رْمِ ، سْمع) ثم في مقطع صوتي واحد (قُمْ ، نَمْ) .

ب -**المرحلة الثانية** : كان الأصل مؤلفا من صامت واحد ونطق في مقطع صوتي واحد (قِ ، فِ) .

وهكذا يظهر أن نشأة الكلام الانساني كانت خاضعة لقانون صوتي يرتبط بقدرة الانسان على التقطيع الصوتي وتطور قدرته على التقطيع . ويعني ذلك أن نشأة الكلام الانساني لم تخضع لقوانين المنطق .

6 . 1 . وكنا في مقالة ((نظرة جديدة في تأريخ نشأة اللسان العربي))[27] قد ذكرنا أن (علماء العربية الأوائل حاولوا بعد الكشف الصحيح عن خصائص بنية العربية تقديم تفسيرات لأسباب تمتع العربية بخصائصها المميزة ، فاعتمدوا المنهج المنطقي في وصف تسلسل منطقي لنشأة النظام اللغوي للعربية وتطوره ، نجم عنه تمتع العربية بخصائصها البنيوية المميزة . ولنأخذ على سبيل المثال سيبويه[28] . يرى (أن الفعل مأخوذ من لفظ أحداث الأسماء – أي المصادر – وأن الاسم قبل الصفة كما أنه قبل الفعل ، وأن النكرة قبل المعرفة ، وأن المفرد قبل الجمع وأن المذكر قبل المؤنث) . وأكدنا أن (تاريخ تطور الأصل في اللسان العربي وتشكل النظام اللغوي للعربية واكتماله لم يخضع لقوانين المنطق بل خضع لقانون أساسي للتطور الصوتي وارتبط به قانون توسع اللغة في القيام بوظيفة الاتصال (الابلاغ) من ناحية ، وقانون توسع اللغة في القيام بوظيفة التعبير عن الأفكار من ناحية أخرى . لذا يتضح أن المنهج المنطقي عاجز عن تحديد مراحل التطور ووصفها قبل اكتمال النظام الصوتي للغة ونظامها القواعدي ونظام التعبير فيها عن الأفكار المجردة العامة . كما يتضح أن المنهج الوصفي الوظيفي عاجز أيضا عن تحديد مراحل التطور ووصفها) . وقررنا أن (المنهج التاريخي العلمي لمدرسة أبي علي الفارسي اللغوية هو المنهج القادر على تحديد مراحل التطور ووصفها) .

6 . 2 . قررنا أعلاه (في الفقرة 4 . 3 .) أن الأصل في المعجم العربي (ك . ت . ب) رصيد للأصوات التي تتألف منها مفردات العربية من ناحية وللمدلولات التي ترتبط بها من ناحية ثانية . وقلنا أن ذلك يعني أن الأصل في المعجم العربي ليس صيغة الفعل الماضي للشخص الثالث المفرد المذكر / كتب (هو) / .

كان الأصل التاريخي الحيواني (شحج ، نزب) ينطق في مجموعة صوتية مندمجة ، ثم تطور النطق الانساني لهذا الأصل بحيث صار الانسان ينطقه فيما بعد في ثلاثة مقاطع صوتية . وبعد اكتمال النظام اللغوي للعربية الذي عكس اكتمال نظام التفكير الانساني ببلوغه المفاهيم المجردة ظهرت صيغة الاخبار للفعل العربي الخاصة بالشخص الثالث غير المشار إليه التي تميزت بأنها فارغة لا تشمل على ضمير يفيد المسند إليه الفعل . وبما أن الصيغة الفارغة (كتب 0) تتطابق مع الصيغة غير الفارغة / كتب (هو / وقع الوهم في أن صيغة الأصل في المعجم العربي (ك . ت . ب) هي صيغة الفعل الماضي المجردة المسندة إلى المفرد الغائب / كتب (هو) / .

وفي ضوء ذلك يظهر أن الأصل في المعجم العربي (ك . ت . ب) ليس صيغة فعلية فارغة (كتب 0) لأنه يحمل معنى الفعل والفاعل معا بينما تحمل الصيغة الفارغة معنى الفعل وحده من دون الفاعل . ولكن الأصل في المعجم بالمقابل ليس صيغة افتراضية مجردة بل هو صيغة صوتية (مادية) ترجع إلى الأصل التاريخي الحيواني لنشأة اللغة العربية الذي كان ينطق في مجموعة صوتية مندمجة ، ثم صار ينطق فيما بعد في ثلاثة مقاطع صوتية فأصبح يتطابق صوتيا مع صيغة الفعل الماضي المجردة للشخص الثالث المفرد المذكر .

6 . 3 . وهكذا يظهر أن نظام المعجم العربي استند إلى الأصل التاريخي الحيواني لنشأة اللغة العربية الذي صار ينطق فيما بعد في ثلاثة مقاطع صوتية ونظر إليه على أنه يتألف من ثلاثة صوامت متحركة . والسؤال الذي يبرز هنا هو التالي : ***كيف تم إدخال الأصول الذي ظهرت بعد الأصل الأول (التاريخي الحيواني) في نظام المعجم العربي مع المحافظة على اتساق نظامه؟***

للاجابة عن هذا السؤال ***طرحنا نظرة جديدة في دراسة المعجم العربي . تقوم النظرة الصوتية إلى المعجم العربي على القانون التالي : الأصل الحقيقي في المعجم العربي*** (الذي هو رصيد للأصوات اللغوية التي تتألف منها المفرادت من ناحية ، وللمدلولات التي ترتبط بها من ناحية ثانية) ***هو ذلك الرصيد الذي يشتمل على الحد الأدنى من الصوامت المشترك بين جميع الكلمات التي تدخل في العنقود الاشتقاقي الواحد وبالترتيب نفسه .***

كشفت نظرتنا الصوتية إلى المعجم العربي ***خمسة مبادىء يقوم عليها نظام المعجم العربي***[29] هي التالية :

أ ـ اعتماد مادة تتطابق مع صيغة الفعل للشخص الثالث المفرد المذكر المؤلفة من ثلاثة صوامت متحركة (كتب) أصلا في المعجم .

ب ـ اعتماد مادة تتطابق مع صيغة مفترضة تتألف من ثلاثة صوامت متحركة أصلا في المعجم (مدد) بنتيجة فك الادغام في الثنائي المضعف بالنسبة لصيغة الماضي للشخص الثالث المفرد المذكر (مدَّ) .

ج ـ اعتماد مادة تتطابق مع الماضي للشخص الثالث المفرد المذكر رباعية الأصوات الصامتة (بعثر) أصلا في المعجم .

د ـ اعتماد مادة تتطابق مع صيغة مفترضة ـ تتألف بنيتها من ثلاثة صوامت متحركة ـ على أنها أصل في المعجم بنتيجة رد الألف المدة في صيغة الماضي إلى أصلها الواو المتحركة أو الياء المتحركة بالنسبة لصيغة الماضي للشخص الثالث المفرد المذكر .

1 - المعتل الأجوف : قام ← قوم ، باع ← بيع

2 - المعتل الناقص : رمى ← رمي ، دعا ← دعو

3 - المعتل اللفيف المقرون : طوى ← طوي

4 - المعتل اللفيف المفروق : وق ← وقي

هـ -اعتماد مادة تتطابق مع صيغة الماضي للشخص الثالث المفرد المذكر المعتل المثال (وعد) والمهموز (أكل ، سأل ، قرأ) - وتتألف بنيتها من ثلاثة صوامت متحركة - أصلا في المعجم .

وتجدر الاشارة إلى أن هذه المبادىء تؤمن اتساق نظام المعجم العربي من ناحية ، وتعتبر من ناحية أخرى سمات تشير إلى البعد الزمني في نظام المعجم العربي .

سابعا : اللغة العربية أصل قائم بذاته .

لقد كشفت نظرتنا الصوتية إلى المعجم العربي أن النظام اللغوي للعربية يعكس جميع المراحل التي مرت بها نشأة الكلام الانساني . ويثبت ذلك بشكل قاطع أن اللغة العربية أصل قائم بذاته .

ويعني ذلك أن ***المادة اللغوية للعربية المتوافرة حتى يومنا الراهن والتي حفظها لنا نظام المعجم العربي تقدم شواهد تاريخية علمية تروي قصة نشأة الانسان واللسان ، ويترتب على هذه الحقيقة العلمية الجديدة النتائج التالية :***

أ -***العرب هم عرب منذ ظهور الحياة الانسانية في وطنهم .***

ب -***اللغة العربية هي اللغة الأصلية للشعب العربي منذ بداية وجوده .***

ج -***كشف زيف فرضية (أسرة اللغات السامية) و(الشعب السامي) ويتبع ذلك بالضرورة إعادة كتابة التاريخ العربي .***

د -***اكتشاف خصائص جديدة تتميز بها بنية العربية . وقد عمدنا بالاستناد إليها إلى اقتراح طريقة صوتية جديدة في وصف قواعد صرف العربية تنطلق من الأصل في الاشتقاق في العربية هو صيغة فعل الأمر العامة للشخص الثاني .***

هـ -***إغناء المعارف الانسانية*** في المجالات التالية :

1 - الكشف من كيفية ارتباط اللغة بالتفكير وتحديد المراحل والأطوار التي مرت بها نشأة الكلام الانساني .

2 - الكشف عن تاريخ ظهور الانسان العاقل ، وعن معطيات أنثروبولوجية جديدة وعن جوانب هامة في التاريخ الانساني في الفترة المسماة (ما قبل التاريخ) .

3 - ***إمكانية اقتباس اللسانيات الحديثة للمنهج التاريخي العلمي - منهج مدرسة أبي علي الفارسي اللغوية الذي بلوره ابن جني وعبد القاهر الجرجاني في نظريتين متتامتين لدى دراسة تاريخ مختلف اللغات . والاستفادة من النموذج الفريد الذي تقدمه العربية لنشأة اللغةالانسانية ومراحل تشكل نظامها اللغوي واكتماله .***

الهوامش

(1) للتوسع في الموضوع ارجع إلى مقالتنا «الدراسات الصوتية في التراث اللغوي العربي» المنشورة في مجلة (المعرفة) بدمشق – العدد 224 – آب 1981 .
(2) للتوسع في الموضوع ارجع إلى مقالتنا «الساكن والمتحرك في علم العربية» المنشورة في مجلة (اللسان العربي) بالرباط – العدد 20 1983 .
(3) للتوسع في الموضوع ارجع إلى مقالتنا «نظرة جديدة إلى المعجم العربي – القسم الأول : مراحل تشكل نظام المعجم العربي وتكونه» المنشورة في مجلة (اللسان العربي) بالرباط – العدد 26 1986 .
(4) المؤلفات الكاملة – المجلد الأول – مطابع الادارة السياسية للجيش – دمشق 1982 ص 71 .
(5) – المؤلفات الكاملة – المجلد الأول ، ص 341 – 344 .
(6) المؤلفات الكاملة – المجلد الأول . 258 – 259 .
(7) دار العلم للملايين – بيروت .
(8) نشرت في مجلة (المعرفة) بدمشق – عدد تشرين الأول سنة 1962 .
(9) (مغامرات لغوية) ص 366 .
(10) (مغامرات لغوية) ص 242 .
(11) نشرت في مجلة (اللسان العربي) بالرباط – عدد يناير سنة 1972 .
(12) تاريخ العرب / مطول / بقلم د . فيليب حتي ود . إدورد جرجي ود . جبرائيل جبور الطبعة الرابعة ، 1965 ، دار الكشاف ، ج 1 ، ص 9 .
(13) تاريخ العرب / مطول / ، ج 1 ، ص 8 .
(14) تاريخ العرب / مطول / ج 1 ، ص 14 .
(15) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام تأليف د . جواد علي ، دار العلم للملايين بيروت – الطبعة الأولى ، 1968 – ج 1 ، ص 225 .
(16) «تاريخ العرب (مطول)» ، ج 1 / ص 53 .
(17) «المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام» ، ج 1 / ص 14 .
(18) «المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام» ، ج 1 / ص 25 – 26 .
(19) «المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام» ج 1 / ص 294 .
(20) مجلة (الموقف الأدبي) بدمشق – العدد . 117 – كانون الثاني 1981 .
(21) للتوسع في الموضوع ارجع إلى :
أ) مقالتنا «استجابة اللغة العربية لتحولات العصر» المنشورة في مجلة (الموقف الأدبي) بدمشق – العدد 180 – نيسان 1986 .
ب) الخصائص لابن جني – حققه محمد علي النجار – دار الهدى بيروت .
ج) «دلائل الاعجاز في علم المعاني» للامام عبد القاهر الجرجاني – صحح أصله الامام محمد عبده – الناشر مكتبة القاهرة – 1961 .
د) «الموجز في شرح دلائل الاعجاز في علم المعاني» الدكتور جعفر دك الباب – مطبعة الجليل – دمشق – 1980 .
(22) إصدار الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة الثانية – 1979 .
(23) للتوسع في الموضوع ارجع إلى مقالتنا «مراحل نشأة الكلام الانساني» المنشورة في مجلة (اللسان العربي) بالرباط – العدد 25 .
(24) ارجع إلى «محاضرات في الألسنية العامة» ترجمة يوسف غازي ووحيد النصر – المؤسسة الجزائرية للطباعة /1986 .
(25) ارجع إلى «مبادىء اللسانيات العامة» ترجمة د . أحمد الحمو – إصدار وزارة التعليم العالي السورية / 1984 – 1985 .
(26) في القسم الأول منها المشار إليه أعلاه .
(27) المنشورة في مجلة (التراث العربي) بدمشق – العدد رقم 11 – 12 / 1983
(28) الكتاب ج 1 ، الأبواب (علم ما الكلم من العربية) (مجاري أواخر الكلم في العربية) (المسند والمسند إليه) .
(29) في قسمها الثاني (المبادىء التي يقوم عليها نظام المعجم العربي والتسلسل الزمني لظهورها) المنشورة في مجلة (اللسان العربي) بالرباط – العدد 27 / 1987 .